له ثم للتاريخ (9).. #شهادة_حذيفة_عزام على حوادث #جبهة_النصرة
الكاتب : حذيفة عبد الله عزام
التاريخ : 29 مارس 2016 م
المشاهدات : 9284

الحمد لله القائل في كتابه "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا" وصلى الله وسلم على الهادي البشير القائل: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون" وبعد:

لم يكن يدور بخلد غلاة النصرة وهم يَعدون على الفصائل ويستبيحونها ويفككونها الآثار الكارثية التي ستخلفها هذه الأفعال على الثورة السورية برمتها فقد كانوا سادرين بزهو الانتصارات (الوهمية) التي حققوها تائهين في جو القوة التي انضافت إلى قوتهم بسيطرتهم على عتاد تلك المجموعات ولكم صرخت بأعلى صوتي وكررت وكتبت المقالات بأن المنتصر في تلك المعارك خاسر لأنه كسر سنده وشل عضده ولكن:

وقد أسمعت لو ناديت حيا *** ولكن لا حياة لمن تنادي.

وصوتي كان أدنى أصوات حكماء وعقلاء وعلماء الساحة الذين لا أبلغ مد أحدهم أو نصيفه دون جدوى.

ونارا لو نفخت بها أضاءت *** ولكن أنت تنفخ في رماد.

فغرور القوة قد أصاب القوم وتمكن منهم وسولت لهم أنفسهم أنهم باستئصالهم لفصائل (الردة) سينتصرون وزين لهم الشيطان أعمالهم بعدة انتصارات حققوها بعد قضائهم على تلك الفصائل فراحوا يسوقون للعالم: بأن تلك الانتصارات ما كان لها أن تتحقق لولا القضاء على فصائل الفساد حسب خطابهم الظاهر وفصائل (الردة) بحسب قناعاتهم ولم يكونوا يشعرون بأنهم ـ ربما ـ كانوا في طور الاستدراج أو مرحلة الإملاء فعزوا السبب في جميع تلك الانتصارات لإفنائهم فصائل الردة ففتوحات وادي الضيف والحامدية وإدلب والمسطومة وجسر الشغور وسهل الغاب... الخ ما كان لها أن تتحقق بوجود تلك الفصائل حسب زعمهم.

وكنت أثناء الحملات على تلك الفصائل أتواصل معهم عبر الغرف كلما سنحت الفرصة وعبر التليجرام و(الواتس أب) لأنني قبل انتقالي إلى الشمال السوري كنت قد عطلت حسابي على التويتر وما كان يخطر ببالي أنني سأضطر لتفعيل حساب جديد والله يشهد أنني نادرا ما كنت أجد الوقت للتواصل كلما سنحت الفرصة وفي الوقت الذي كنت برفقة ثلة من الأخيار الأغيار نطارد بين أزيز الرصاص ودوي المدافع سعيا لحقن الدماء وإصلاح ذات البين.

كانت أقلامهم وحساباتهم تنوشنا وتنتقص منا وتتهمنا وكلما رجعنا إلى المقرات التف حولنا الأخوة يسألوننا هل قرأتم ما كتب عنكم وما قيل فيكم فنغفوا قبل أن يشرعوا في حديثهم ونصحوا ونصلي وننطلق على الفور حتى بدأ الأخوة يتواصلون معي من الخارج ويحثونني على تفعيل حساب التويتر للرد على ما يثار حولنا ـ وأنا أقصد فريق العمل ولا أعني نفسي ولذا أتحدث بصيغة الجمع ـ ومع ذلك لم أفعّل الحساب إلا في الشهر الثالث أو الرابع من العام المنصرم.

أعود فأقول: كنت على تواصل معهم عبر الغرف وكنت أحذر على العام والخاص من عواقب ما يجري ومن انعكاساته على

المدى البعيد فأقابل بالسخرية ويقابل قولي بالازدراء ومن تلك الغرف غرفة أنشأها ـ مشكورا ـ الدكتور عبدالله المحيسني على التليجرام سماها (نوازل الشام) وانسحبت منها على إثر أحداث جبل الزاوية وريف حماه كثرة ما نالني فيها من الأذى وكان مما دار بيننا من حوار فيها وفي غيرها.

هل ستستطيعون تغطية أماكن الرباط التي كانت ترابط فيها تلك الفصائل (المرتدة) وهل لديكم العدد الكافي لسد ذلك الفراغ وكانوا يجيبون بكل ثقة أنهم قادرون على فعل ذلك وكنت على يقين أنهم سيعجزون عن تعويض العجز الناجم عن تفريغ تلك المناطق وكان الدليل واضحا كالشمس في قارعة النهار فنداءات التحريض لشباب العالم الإسلامي للهجرة إلى الشام والالتحاق بصفوفهم لا تكاد تهدأ لحظة متكئين على خطاب العاطفة لإقناع الشباب بالهجرة والالتحاق بصفوفهم وكانوا يصرحون فيها بالحاجة الماسة إلى المجاهدين والمرابطين على الثغور وأن المناطق المحررة تسقط نتيجة العجز عن تغطية نقاط الرباط رغم أن من شردوهم وشتتوهم يعيشون بالجوار على الحدود التركية السورية وتعدادهم بالآلاف وفيهم من الخبرات والكفاءات والقادة الكثير ولكن أنى للقوم أن يأذنوا لمرتد بالعودة أو يستعينوا (بتارك لدينه) فصاروا يحرضون شباب الأمة ويستقطبونهم من كل حدب وصوب والنداءات توجه إليهم بعد حملات إيران والمليشيات والنظام المسعورة على المناطق وتساقطها المنطقة تلو الأخرى كانت النداءات توجه إليهم من داخلهم وخارجهم والأصوات تتوالى وتتعالى أن ائذنوا للقوم بالعودة والقوم يكابرون ويأبون ودعاتهم يحرضون ويناشدون ويستجدون نفير الشباب من أقاصي البلاد رغم زوال نشوة القوة وذهاب سكرة الانتصارات الآنية التي كنت أراها ـ حسب اجتهادي الذي ربما أكون مخطئاً فيه ـ إملاء واستدراجا وكانوا يرونها انتصارات ساحقة بل ويصرحون "اليوم نغزوهم ولا يغزونا".

ومع شراسة الحملة وشدتها وتساقط المناطق خاصة بعد التدخل الروسي وفقر الجبهات للمجاهدين والمرابطين وكثرة الشهداء والجرحى تكشفت أخطاء ما عملته أيديهم وتبدت لهم آثار جناياتهم على الثورة وليتهم وقفوا قليلا مع ذواتهم فراجعوا تلك الأخطاء وتداركوا ما يمكن تداركه وتلافوا تكرار ما مضى من أخطاء إذن لتناسى الجميع كل تلك الأحداث ولفتحت صفحة جديدة في الثورة تعيد لها روحها وتسعفها من حالة الاحتضار التي تمر بها وتبعث فيها الحياة والأمل لكن القوم ازدادوا عنادا وإصرارا بل في عز الهزائم كرروا ذوات الأخطاء فهاجموا فصائل لا ينكر أحد جهادها ورباطها ونكايتها بالعدو.

وهنا لئلا يضيع مغزى الحديث وتذهب الفائدة المرجوة منه أحاول حصر آثار إنهاء تلك الفصائل: فقد أدت على المدى البعيد ـ وإن كنت لا أراه بعيدا ـ فقد ظهرت آثاره خلال عام واحد فقط .

ـ وأول الآثار تساقط الجبهات بسبب نقص عدد المقاتلين والمرابطين الذي نجم عن تفكيك تلك الفصائل وطرد مقاتليها.

ـ وثانيها خسارة قسم كبير من الحاضنة الشعبية وخلق جو مشحون بين جبهة النصرة والحاضنة الشعبية وارتفاع وتيرة الاحتقان الذي يزداد يوما بعد يوم فقد خلفت تلك الأحداث مآسي في معظم البيوت فما من بيت إلا وفيه قتيل أو طريد أو شريد أو معتقل أو ذهبت أملاكه أو مصادر رزقه إثر تلك الأحداث وهم ساكتون صامتون خوفا من بطش القوم وخشية ملاحقة أذرعتهم الأمنية لكنهم محتقنون ناقمون يتحينون الفرص التي إن لاحت لن يوفروها ـ والأيام بيننا ـ وإن سنحت لن يضيعوها بل سينقضون على من ظلمهم وتسبب في أذيتهم وسيسعون لاسترداد حقوقهم التي سلبت منهم بمسوغات زعم القوم أنه (شرعية) وشرع الله منها براء.

ـ وثالث تلك الآثار وأخطرها صناعة الصحوات ومن راقب تجربة العراق عن كثب ورأى ظلم المناهجة الذي كان السبب الرئيس في صناعة الصحوات يدرك صواب ما أقول ولقد تنبه شيخنا الشهيد بإذن الله أبو عبدالله الحموي لهذه الكارثة

مبكراً ولفت الأنظار إليها وحذر من عواقبها قبل أن يلقى ربه ويقضي نحبه فنبه رحمه الله إلى أحد أهم أسباب صناعة الصحوات في العراق وهو ظلم المناهجة ولو قدر له أن يعيش لرآه واقعا على أرض الشام.

وسأكتفي بإيراد مثال واقعي عشت أحداثه بنفسي وحاولت وآخرين منع حدوثه دون جدوى فإصرار المناهجة كان أقوى منا جميعاً وإليك تفاصيل الخبر: فحين وقعت أحداث جبل الزاوية وانتهت بتفكيك جبهة ثوار سوريا وذهب عناصرها بين قتيل وأسير وطريد وشريد كان ممن فر من بطش جبهة النصرة والجند (أبو علي برد) أحد القادة العسكريين في جبهة ثوار سوريا وهو ممن انحاز بمجموعته وسلاحه إلى مناطق الأكراد فرارا من النصرة وجند الأقصى.

ولئلا يزايد علي المناهجة كعادتهم ويفتروا فسأبدأ بما غردت به عن جيش الثوار حين سئلت عنه: "لو كان ابني في جيش الثوار لقاتلته "لأن واحدا ممن صدق نفسه أنه من منظري المناهجة ممن يعيشون في لندن كان قد افترى علي ـ وتغريدته موجودة ـ بأنني حظرته لأنه تكلم في جيش الثوار وزعم أنني كنت أدافع عنه وحين هاجم جيش الثوار حظرته والله يشهد ثم حسابي أنه افترى علي وقد قدمت بإبداء رأيي في جيش الثوار لقطع الطريق على المزايدات وسد أبواب السجالات والجدالات.

بعد انحياز (أبي علي برد) إلى مناطق الأكراد بدأ بمراسلة من يعرف من أهل الساحة لمناشدة جبهة النصرة السماح له بالعودة للمرابطة على جبهات النظام ـ وكنت أحد الذين راسلهم ـ وتعنتت النصرة ورفضت ثم طلب أن يبايع جبهة النصرة فكان الجواب أن يسلم نفسه وسلاحه ثم تنظر المحاكم الشرعية في أمره فلم يأمن الرجل وخاف على نفسه في ظل نماذج ماثلة أمامه عانت وتعاني في سجون القوم الأمرين ومرت الأيام حتى جاءت الحملة الشرسة على حلب وبدأ تساقط المناطق وظهر العجز الكبير في عدد المجاهدين والمرابطين وصادف ذلك وصول رموز في جبهة النصرة من الجنوب إلى الشمال وهم من الأخوة المشهود لهم وبدأ بعضهم بالتغريد وتحريض من أجبروا من الجيش الحر على الخروج بالعودة في ظل الحملة الشرسة التي تتعرض لها المناطق المحررة بعامة و(حلب) بخاصة فتواصلت مع هؤلاء الأخوة وقلت لهم: أنا على أتم الإستعداد أن أعيد العناصر ومن ترونه من القادة من تركيا ولكن توسطوا لدى قيادتكم واحصلوا على إذن منهم أو كتاب خطي يتعهد بعدم التعرض لهؤلاء وأعجب القوم بالفكرة وتحمسوا لها وكانت حلب تشهد معارك لم تشهد الساحة لها مثيلا طوال سني الثورة وانتظرت جواب الأخوة وعادوا إلي بعد بضعة أيام بأنهم لم يتمكنوا من الحصول على موافقة قيادة النصرة بعودتهم ولم يتمكنوا من الحصول على تعهد بعدم التعرض لهم!

فتساقط المناطق ـ عندهم ـ بيد النظام أهون من عودة (المرتدين) للدفاع عنها.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد فعندما بدأت تحركات الأكراد لنصرة النظام وكان لا بد من السعي لشق صفهم وكان ذلك ممكنا لو أبدت النصرة شيئاً من المرونة أعدت التواصل مع الأخوة الذين قدموا من الجنوب وقلت لهم ما تزال الفرصة سانحة لشق أبي علي برد عن قوات سوريا الديمقراطية فاسعوا في الحصول على أمان للرجل ومن معه لنشقهم عن الأكراد ولم أكن وحدي من يتواصل مع أبي علي برد آنذاك فقد كان الأخ يامن الناصر (أبو بكر) ممن يتواصلون معه بهذا الصدد وهو يشهد على ما أقول والمراسلات الصوتية والكتابية تشهد على ما أقول وأثناء انتظار جواب الأخوة من جبهة النصرة كثفت من تواصلي مع أبي علي برد وذكرته بالله وقلت له لو قتلت الآن وأنت في ذلك الصف فأي مصير ينتظرك وكيف ستلقى ربك أما تخشى سوء الخاتمة والعاقبة والمرد؟؟!! والرجل يحدثني عن الظلم الذي لحق به ومطالباته المتكررة بتركه على جبهات النظام بل مطالبته بمبايعة جبهة النصرة على أن يتركوه ومن معه في مناطقه على جبهات النظام وكيف قوبل ذلك كله بالرفض والتعنت وطلبوا إليه تسليم نفسه وسلاحه ثم تنظر المحاكم في أمره فطمأنته بأن الأخوة الذين جاءوا من

الجنوب قد وعدوا خيرا وهم يسعون في عودة المقاتلين والقادة ولأن الرجل أعطى موافقة مبدئية وانتظرت جواب الأخوة الذين تواصلت معهم وبعد بضعة أيام جاء الرد من الأخوة بأنهم لم يتمكنوا من الحصول على ضمان أو عهد أمان لأبي علي برد ومن معه.

وتسارعت الأحداث وتساقطت المناطق ولم نستطع إدخال مقاتل أو قائد عسكري من أصحاب الكفاءات وشارك جيش الثوار في المعارك ضد المجاهدين إلى جانب النظام والأكراد وتسبب القوم في صناعة صحوات جديدة في الشام كما صنعوها من قبل في العراق فالقوم يعتقدون أنهم من النخب ـوليتهم كذلكـ ويفترضون أنهم يتعاملون مع شعوب نخبوية أو زمرة من الملائكة سيتصرفون ككعب بن مالك رضي الله عنه وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع حين قاطعهم المجتمع كله بأمر من رسول الله لتخلفهم عن غزوة تبوك فجاءه كتاب من ملك الغساسنة فيه علمنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فسجر كتاب الملك في التنور ليسد باب الوساوس.

عذرا بني قومي فأنتم تتعاملون مع زمرة من عوام الناس فتنتموهم في دينهم ورميتموهم في أحضان العدو ثم بتم تلعنونهم وتشمتون!!

أتوقف هنا اليوم وأتم ما بدأته غدا ـبحول الله وقوتهـ إن كتب الله لي عمرا.

المصادر: